
الوَلَدُ الذَّهَبِيُّ
تأليف: فؤاد قنديل
رسوم: أحمد هنو


قطر الندى

الوَلَدُ الذَّهَبِىُّ

بَعْدَ أنْ عادَ من المَدْرَسَةِ، وقَبْلَ أنْ يأكُلَ أىَّ لُقْمَةٍ أو يَخْلَعَ مَلابِسَهُ، أو يَضعَ حَقيبتَهُ، سَأَلَ أحْمدُ والدَتَهُ:

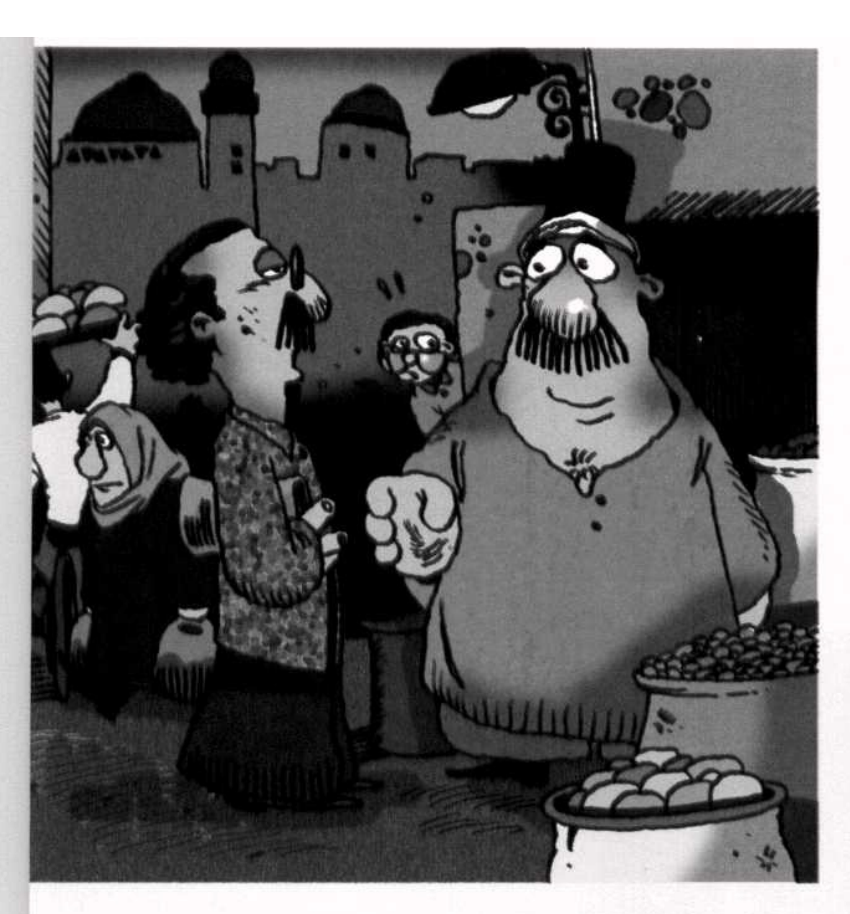
– أبى يا أمِّى.. ماذا يَعْمَلُ؟

كانَتْ أمُّهُ بالمَطْبَخ تُعِدُّ طَعامَ الغَدَاء، رَفَعَتْ رأْسَهَا ونَظَرَتْ إلى وَلَدِها فى دَهْشَةٍ، وقَبْلَ أنْ تَنْطِقَ، لاحَظَتْ أنَّ بِوَجْهِهِ بَعْضَ الجُروحِ، وجَيْبَ قَمِيصِهِ مَقْطُوعٌ وبالصَّدْرِ زِرًّا مَخْلُوعاً، وعلاماتِ الغَضَبِ واضحَةٌ عَلَى مَلامحه، أصابَهَا الذُّعْرُ، وسَأَلَتْهُ: لماذا تَسْأَلُ هَذا السُّؤالَ يا أحْمدُ؟

قالَ أحْمدُ فى حَسْم:

– أرْجُوكِ يا أمِّى.. أجِيبى على سُؤالى.





سَأَلَتْهُ: ألا تَعْرِفُ الإجابَةَ؟

قالَ أحْمد: لا.

عادَتْ تَسْألُهُ:

– مِنْ أيْنَ أنتَ قادِمٌ الآنَ؟

قالَ أحْمد: من المَدْرَسَة.

– ألمْ تَمُرّ على أبيكَ مِثْلَ كُلِّ يَوْم؟

– مَرَرْتُ.

– هَلْ وَجَدْتَهُ؟

– نَعَمْ.

مَسَحَتْ أمُّه يَدَيْهَا ودَنَتْ مِنْهُ.

سألَتْهُ فى حَنانٍ:

– أيْنَ وَجَدْتَهُ؟

ابْتَعَدَ أحْمدُ عَنْهَا وهُو يَخْلَعَ حَقيبَتَهُ المُعَلَّقَةَ بكَتِفَيْه وقالَ:

– وَجَدْتُهُ كَما أجدُهُ كُلَّ يَوْم.

قالتْ لَهُ: أجبْنى كَما أجَبْتُكَ.. أيْنَ وَجدْتَهُ؟

قالَ: فى الدُّكَّان.

سألَتْهُ: وماذا كانَ يعْمَلُ؟

بَدَتْ علَيْهِ الحَيْرَةُ، دارَ حَوْلَ نَفْسه مرَّتَيْن، ثُمَّ قالَ: أعْرفُ يا أمِّى أنَّ أبى تاجرٌ، يَشْتَرى الحُبوبَ ويَبيعُهَا، لكنَّ الأوْلادَ فى المَدْرَسَةِ قالُوا إنَّهُ ليسَ تَاجِراً، ويقولُ آباؤهُمْ: إنَّهُ لِصٌّ.

خَبَطَتْ أمُّ أحْمد على صَدْرِها وفَتَحَتْ عَيْنَيْها وفَمَهَا مِن الدَّهْشَةِ والغَضَبِ.. ثُمَّ سألَتْهُ:

– وهَلْ رضيتَ أنْ يقولوا ذلك علَى أبيكَ؟

أجابها أحْمد: لَمْ أسْكُتْ لَهُمْ، شَتَمْتُهُمْ وضَرَبْتُ مَنْ قالَ ذلكَ.

سَكَتَ لحَظْةً ثمَّ قالَ: غداً سَيقُولونَ نَفْسَ الكَلامِ.

قالَتْ: إنَّهُمْ كَذَّابون.

– المُشْكلَةُ.. أنَهم يَتَناقَلُونَ هذا الكَلامَ فِيما بَيْنَهُمْ.

– صَدِّقْني ياوَلَدى.. إنَّهم كَذَّابونَ.

ابْتَعَدَ عَنْها وسَألَ وهُو فى قمَّة الغَضَب والْحَيْرَة:

– ولمَاذا لم يُوَجِّهُوا هَذه التُّهْمَةَ إلى والدِ شريفٍ أوْ والدِ إبراهيمَ؟

– لأنك تَلْبسُ مَلابسَ غاليَةً وجَميلةً.. وتَأْخُذُ مَصْروفًا كبيراً.

تَنَهَّدَ أحْمَدُ وقالَ لها:

– عِنْدما سَمعْتُ هَذه التُّهْمَةَ البَشِعَةَ تَمَنَّيْتُ أنْ تَنْشَقَّ الأرْضُ وتَبْتَلِعنى، كانَتْ



كَلماتُهُمْ تُغِيظُنى جدًّا.

صَرَخَتْ أمُّهُ قائلَةً:

– قَطَعَ اللَّهُ ألْسِنَتَهُمْ، لا تَهْتَمّ بكَلامِهِم، إنَّهم عَدِيمو التَّرْبيَة.

ظَلَّ أحْمدُ صَامتًا وقَد اسْتَوْلَى عَلَيْه الحُزْنُ.

قالَتْ له أمُّهُ: قُمْ واخْلَعْ مَلابسَكَ، لابُدَّ أنَّك جائعٌ، الغَدَاءُ جاهِزٌ.

شَعَرَ أحْمدُ أنَّهُ مَخْنُوقٌ وكأنَّ حَجَرًا ثَقيلاً علَى صَدْرِهِ، يكادُ يَمْنَعُهُ مِن التنَفُّسِ.

احْتَضَنَتْهُ أمُّهُ وقالَتْ لَهُ:

– هَيَّا ياحَبيبى إلى غَدائكَ.. وغَداً سأذْهَبُ إلى المَدْرَسَةِ وأقابلُ المُدِيرَ والمُدَرِّسينَ وأطْلُبُ إليهم أنْ يَمْنَعُوا الأوْلادَ مِنْ قَوْلِ هَذا الكَلامِ.

وَقَفَ أحْمد فَجْأةً وسَأَلَ:

– لِمَاذا لا يَذْهَبُ أبى؟

قالَتْ أمُّهُ:

– لَمْ يَسْبقْ أنْ ذَهَبَ أبُوكَ إلى مَدْرَسَتِكَ، كما أنَّهُ مَشْغولٌ بالدُّكَّان، وأنا قادِرَةٌ على إنْهاءِ المُشْكِلَةِ.

بَدا الهُدُوءُ علَى مَلامحِ أحْمدَ، وانْحَنَى يأْخُذُ حقيبَتَهُ وقَبْلَ أنْ يدْخُلَ حُجْرَتَهُ، قالَ لأُمِّهِ:

– إذا لَمْ يَتَوَقَّف الأوْلادُ عَنْ تَوْجِيهِ هَذه التُّهَمِ فَلَنْ أذْهَبَ إلى هَذهِ المَدْرَسَةِ، انْقلُونى إلى مَدْرَسَةٍ أخْرَى.



أسْرَعَتْ أمُّهُ تُعانقُهُ وهى تقولُ: اطْمَئِنّ.. غَداً إنْ شاءَ اللَّهُ تَنْتَهِى المُشْكِلَةُ.

بَعْدَ لَحظات جاءَ أبُوه وسَألَ عَنِ الطَّعام، ثُمَّ جاءَتْ أُخْتُهُ سَوْسَنُ، جَلَسُوا جَمِيعًا علَى المائدَةِ وتَناوَلُوا طَعامَهُمْ..

بَعْدَ الغَداء شاهَدَ أحْمَدُ بَرْنامَجاً فى التِّلِيفزْيون، وبانَ

عَلَيْهِ أنَّهُ عادَ إلَى طَبيعَتِهِ، لَعِبَ مَعَ أخِيه الصَّغير بَعْضَ الوَقْت، ثُمَّ جلَسَ على مكْتَبهِ يَقْرأُ فى كُتُبهِ ويَعْملُ واجباتِهِ.

فى اليَوْم التَّالى ذَهَبَتْ أُمُّ أحْمَدَ إلى المَدْرَسَةِ، اسْتَقْبلَها المُدِيرُ، قالَتْ لَهُ: إنَّ عِنْدَكَ فى المَدْرَسَةِ أوْلاداً لَمْ يُحْسِنْ آباؤهُمْ تَرْبيتَهُمْ، إنَّهُمْ يَتَعارَكُون مَعَ وَلَدِى ويُنادُونَهُ قائِلِينَ لَهُ: ياابْنَ الحرامى.

تَبَسَّمَ لها المُدِيرُ وقالَ:

– لا تَنْزَعِجى ياسَيِّدَتى مِنْ كَلام الأوْلاد، إنهم أطْفالٌ أبْرياءُ يَنْسَوْنَ ما يقَوُلُونَ بَعْدَ لَحَظات. ونَحْنُ لا نَسْمَحُ بأىِّ إساءَةٍ أو أذًى.



قالَتْ والدَةُ أحْمد:

– لَقَدْ حَدَثَت الإساءَةُ، وامْتَنَعَ وَلَدِى عَنِ الطَّعام والمُذاكَرَة.

قالَ المُدِيرُ: اطْمَئِنِّى ياسَيِّدَتى، سَوْفَ نَمْنَعُ الأوْلادَ مِنْ أنْ يَقُولُوا أىَّ شَىْءٍ يُؤْذِى مَشاعِرَ وَلَدِكِ، وسأقُومُ مَعَكِ بِنَفْسى إلى فَصْله ونَحُلُّ

المُشْكِلَةَ، ما اسْمُهُ وفى أىِّ فَصْل؟

– اسْمُهُ أحْمد كَامِل سُلْطان.. رابعَة أوَّل.

تَقَدَّمَها المُدِيرُ إلى فَصْل رابعَة أوَّل، رَحَّبَ به الأُسْتاذُ، سَمِعَ الشَّكْوَى، بهُدوءٍ طَلَبَ مِن أحْمَدَ أنْ يَذْكُرَ أسْماءَ مَنْ أسَاءوا إليه، وقالُوا إنَّ أباهُ لصٌّ.

ذَكَرَ أحْمَدُ أسْماءَهُمْ وأشارَ إليْهم.

طَلَبَ منْهم المُدَرِّسُ الوقوفَ.. قالَ المديرُ لَهُمْ:

– إنَّ ما قُلْتُموهُ لزَميلِكُم عَيْبٌ كَبيرٌ لا يَصْدُرُ أبَداً عَمَّنْ جاءَ ليَتَعَلَّمَ، إنَّكُم جَميعاً هُنا زملاء وإخْوَة ولابُدَّ أنْ يَحْتَرمَ كُلٌّ منْكُم أخاهُ، سَوْفَ أعْفو عَنْكُم هَذه المَرَّة، وإذا بَلَغنى أنَّكُم أسَأْتُمْ إلى أحْمَدَ أو أىِّ زَميلٍ آخَرَ، فَسَوْفَ أحْرمكُمْ مِنْ دُخُول المَدْرَسَةِ حَتَّى يُحْضِرَ كُلٌّ منْكُم وَلىَّ أمْرِهِ.

ثُمَّ الْتَفَتَ المُديرُ إلى المُدَرِّس وسَأَلَهُ:

– ما مُسْتَوَى أحْمد فى الدِّراسَة؟

أجابَ المُدَرِّسُ:

– أحْمَدُ مِنْ أحْسَنِ تَلاميذِ الفَصْل.

قالَ المُديرُ: حَسَنٌ جدًّا، التلْميذُ المُجْتَهِدُ لا نَسْمَحُ لأحَدٍ أنْ يُؤْذِىَ مَشاعِرَهُ أو يُسىءَ إليه، شُكْرًا يا أسْتاذ.

مَعَ الأيَّام نَسِىَ أحمدُ كُلَّ ما حَدَثَ، لَمْ يَذْكُر الأوْلادُ اسْمَ والدِهِ بسُوء بَعْدَ ذلكَ أبدًا،

كان الجَميعُ يلْتَقُون ويَسْتَمِعون إلى شَرْحِ المُدَرِّسينَ، وفى الفُسْحَة يلْعَبون ويَجْرُون ويَتَنافَسُونَ، وبعدَ انْتهاءِ اليَوْمِ الدِّراسيِّ يُغادِرون المَدْرَسَةَ، جَماعاتٍ جماعاتٍ، كُلُّ الأَوْلادِ الذينَ يَسْكُنونَ فى حَىٍّ واحِدٍ يسيرونَ مَعًا.

فى لَيْلَةٍ مِن الليالى شرب أحمد ماءً كثيرًا وعَصيرَ جَوافَةٍ وأكَلَ بُرْتُقالاً، حَتَّى إنَّهُ اضْطُرَّ أنْ يَنْهَضَ مِنْ نَوْمِهِ العَميقِ وأحْلامِهِ السَّعيدَةِ ليذهَبَ إلى دَوْرَةِ الميَاهِ.

عندما اسْتَدارَ عائدًا إلى فِراشِهِ سَمِعَ صَوْتَ حَرَكَةٍ عنْدَ باب الشقَّةِ، تَصَوَّرَ أنَّ لِصًّا يُحاوِلُ فَتْحَ الباب، أسْرَعَ إلى حُجْرَة والدِهِ، وطَرَقَ بابَهَا بهُدوء، ثُمَّ وَضَعَ فَمَهُ عنْدَ الثُّقْبِ مُنادِيًا أباهُ، لم تَظْهَرْ له أىُّ اسْتجابَةٍ، واصَلَ الطَّرْقَ الخَفيفَ، وهو يَقُولُ:

– حَرامى يا أبى.. حَرامى.

فُوجِئَ أحْمَد بأنَّ رَجُلاً لا يَراه فى الظَّلامِ قد تَمَكَّنَ مِنْ فَتْحِ باب الشقَّةِ، وانْحَنَى علَى الأَرْض يَضَعُ حقيبةً.

فَتَحَ أحْمَدُ بابَ الغُرْفَة، وهَزَّ جِسْمَ أبيهِ قَائلاً:

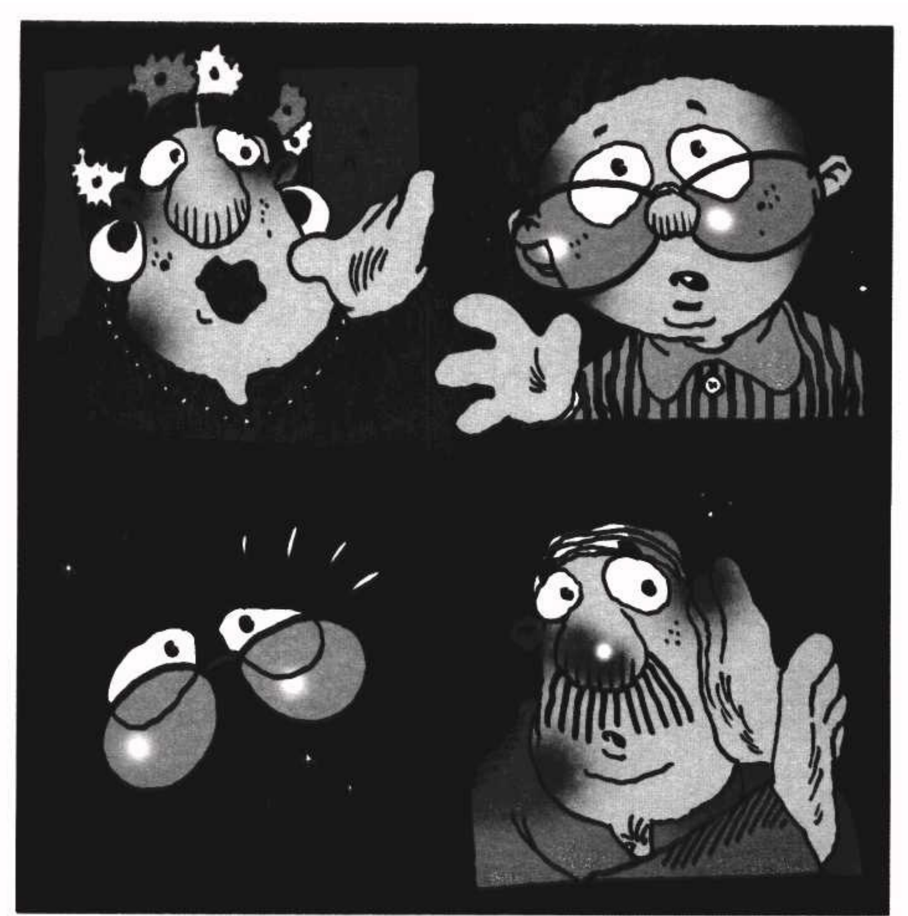
– حَرامى يا أبى.. حَرامى بالبَيْتِ.

اسْتَيْقَظَتَ الأمُّ علَى يَدِ وَلَدِها.

– ماذا بكَ يا أحْمَدُ؟

هَمَسَ بنَبْرَة يَشُوبُها الخَوْفُ:

– أيْنَ أبى؟ حَرامى دَخَلَ الشَّقَّةَ.



أَلْقتِ الغطاءَ عَنْ جِسْمِها وهَبَطتْ إلى الأَرْضِ وهى تَقُولُ:

– لا تَخَفْ .. سَيَطْرُدُهُ أبوك .. هَيَّا إلى سَرِيرِكَ.

دَفَعَتْهُ إلى حُجْرَتِه، بَيْنما كانَ اللصُّ أمامَ بابِ الشقَّة يَنْتَظِرْهُما، وأحْمَدُ يَراهُ ويَتَعَجَّبُ مِنْ تَصَرُّفِ أمِّه.

تَرَكَتْهُ فى فِراشِهِ وأغْلَقتْ عَلَيْهِ البابَ..

ظَلَّ أحْمَدُ مُتَيَقِّظاً يَتَساءلُ عَنْ أبيهِ:

– لَمْ يكُنْ أبى فى فراشِهِ، ولَمْ يكُنْ طَبْعًا فى دَوْرَة المياهِ، وكانَ المَطْبَخُ مُظْلمًا، هَلْ يكونُ فى حُجْرَة سَوْسن؟

مَضَى يُفَكِّرُ لَحَظات، كانَ أخوهُ الصَّغيرُ قد تَرَكَ سَريرَهُ وتَسَلَّلَ إلى جوارِهِ فى اللَّيْل..

عادَ يَتَساءلُ عَنْ أبيه: رُبَّمَا خَرَجَ إلى الدكَّان، أو خَرَجَ لقَضاءِ حاجَةٍ، لا يَصِحُّ أنْ



أتْرُكَ أُمِّى تُواجهُ اللصَّ وَحْدَها.

أسْرَعَ بالخُروجِ.

وَجَدَ أمَّهُ تَقِفُ معَ الحرامى عنْدَ باب الشقَّة، أصابَتْهُ دهْشَةٌ ورَعْشَةٌ، تَعَرَّفَ علَى أبيهِ من صَوْتِهِ، والنُّورِ الخافتِ الذى سَقَطَ علَى وَجْههِ، كادَ يَبْكى وهو يَرَى أباهُ يُحاوِلُ أن يَسْتَديرَ ويُخَبِّئَ وَجْهَهُ، هَمَسَ بصَوْت عالٍ مُتَعَجِّباً:

– أبى !!

بَقِىَ فَمُهُ مَفْتُوحًا وعَيْناهُ مذْعورَتَيْن، تَحَوَّلَتْ أمُّهُ إليهِ بسُرْعَة.. وقالَتْ:

– قُلْ لأبيكَ حَمْداً للَّهِ علَى سَلامَتِكَ.

– هَلْ كانَ مُسافِرًا؟

– نَعَمْ.

– كانَ مَعَنا علَى العَشاءِ.

– لَقَدْ سافرَ فَجْأةً إلى طنطا، ليَشْتَرِىَ بِضاعَةً للْمَحلِّ، قالَ أبُوهُ: تُصْبِحُ على خَيْر

يا أحْمد.

مَضَى الأبُ إلى حُجْرَته.

وقالَ أحْمدُ وهو سَرْحان: وأنْتَ مِنْ أهْلِ الخيْر.

قالَتْ لهُ أمُّهُ:

– هيَّا ياوَلدى كىْ تَنامَ.

دَخلَ أحْمَدُ حُجْرَتَهُ، حاوَلَ أنْ ينامَ، لَمْ يَسْتَطعْ، نَهضَ مِنْ فِراشِهِ، بحَذَرٍ شَديدٍ فتَحَ البابَ، كان نُورُ اللمْبَةِ الصَّغيرَة الحمْراءِ باهِتاً جدًّا.

لَمَحَ خَطًّا من النُّور تَحْتَ باب غُرْفَة والديْهِ.

قَرَّرَ أنْ يَذْهَبَ إلى غُرْفَة سَوسن، لَعَلَّهُ معَها يَسْتَطِيعُ أنْ ينامَ، سَمِعَ أباهُ يقولُ لأمِّهِ:

– انْظُرى، ألَيْسَ هَذا رائعًا؟

قالتْ أمُّهُ بدَهْشَة وفَرَح: رائعٌ جدًّا.

تَوقَّفَ أمامَ البابِ، ودُونَ أنْ يُفكِّرَ وَضعَ عيْنَهُ فى ثُقْب البابِ، رأَى أمَّهُ وأباهُ على السَّريرِ وبيْنهما حَقيبَةٌ مَمْلُوءَةٌ بالذَّهَبِ.. أشْكالاً وألْواناً، ذَهَبٍ يلْمَعُ تَحْتَ نُورِ السقْفِ، أساور وعُقود وخَواتم وأقْراط.. حُلىٌ كَثيرَة.

سَمعَ أمَّهُ تقولُ: لا تَبِعْ هذا العِقْدَ وهاتَيْنِ الأسْورَتَيْنِ، إنهما نصيبى، ولا تَبِعْ هذه الأسْوِرَةَ وهذا الخَاتَمَ وهَذا القِرْط، سوفَ نَدَّخِرُها لسَوْسَنَ.

قالَ أبوهُ وهُو يَمْسَحُ شارِبَهُ: الخَيْرُ كَثيرٌ.. خُذِى ما تشائينَ.

قالتْ أمُّهُ: ما أجْمَلَ هذا القِرطَ.. سآخُذُهُ أيْضًا، وهَذا الخاتمَ.

شَعَرَ أحْمَدُ أنَّهُ على وَشكِ الوقوعِ، كانَ فى غايَةِ الدَّهْشَةِ والأسَى، تَخيَّلَ مَنْظَرَ زُمَلائه فى المَدْرَسَة وهم يقولُونَ: إنَّ أباهُ لِصٌّ.

هَمَسَ: إذنْ فَقَدْ كانت الحَقيقَةَ.

عادَ يَنْظُرُ إلى الذَّهَبِ، فكَّرَ أنْ يَفْتَحَ البابَ ويقُولَ لأبيهِ دُونَ خَوْفٍ: مِنْ أيْنَ حَصَلْتَ عَلَى هَذا الكَنْزِ؟

أدْرَكَ فى نَفْسِ اللَّحْظَة أنَّ أباهُ سَوْفَ يُضْطَرُّ للكَذِبِ، لأنَّ كُلَّ شَىءٍ واضِحٌ تَمامًا أمامَهُ، ولا يَحْتاجُ إلى سُؤالٍ أو تَفْسيرٍ.

أرادَ أن يَبْكى، لَكنَّ دُموعَهُ لم تُطِعْهُ، ابْتَعَدَ عن البابِ، دُونَ أنْ يُفَكِّرَ فى شَىْءٍ اتَّجَهَ نَحْوَ باب الشقَّة، فَتَحَهُ وأسْرَعَ يَهْبطُ دَرَجاتِ السُّلَّم.

لا يَعْلَمُ إلى أينَ يَتَّجِهُ، مَضَى يَرْكُضُ ويَرْكُضُ، خَرَجَ من الزُّقاقِ الصَّغيرِ إلى الشَّارع العَريض ومنْهُ إلى شَارعٍ أكْبَرَ، ثُمَّ إلى المَيْدانِ، لا أحَدَ فى الشَّوارِعِ يُقابِلُهُ، الناسُ كُلُّهم فى بُيُوتهم نائمونَ.

هَدَأَ من جَرْيِهِ وشَرَعَ فى البُكاءِ بَيْنما كان يَسيرُ، ثَقُلَتْ قَدَماهُ تَدْريجيًّا، غَدَتْ خُطواتُهُ أبْطأَ إلى أنْ تَهاوَى أمامَ أحَدِ الدَّكاكِين.

■■■

فَكَّرَتْ أمُّهُ بَعْدَ أنْ أخذتْ ذَهبَها وذَهَبَ سَوْسَنَ أنْ تُخَبِّئَهُ فى مكان لا تَبْلُغُهُ أىُّ يدٍ،



عَـزَمَـتْ أنْ تَـضَـعَـهُ فـى مَخْزَنٍ صَغيرٍ فَوْقَ سَقْفِ المَطْبَخ.

فَزِعَتْ إذْ وَقَعَتْ عَيْنُهَا على باب الشقَّةِ المفْتُوح، أغْلَقَتْهُ، فى نَفْسها لامَتْ زَوْجَـهـا الذى دَخَلَ وتَرَكَ البـابَ مَـفْـتُـوحًـا، دَخَلَت المَطْبَخ وأخْفَت الذَّهَبَ فى المَخْزَن، عادَتْ إلى حُجْرَةِ أحْمَدَ تُلْقِى عَلَيْهِ وعلى أخِيهِ نَظْرَةً قَبْلَ أنْ تنامَ.

صَرَخَتْ: الحَق يا أبا أحْمَد.

أسْرَعَ أبو أحْمد إليها، قالَتْ لَهُ وهى تَلْطِمُ خَدَّيْهَا:

– وَجَدْتُ بابَ الشقَّةِ مَفْتوحاً، وأحْمَد لَيْسَ فى سَريرِهِ.

قالَ لها ببُرودٍ:

- أفْزَعْتِنِى، رُبَّما كانَ عِنْدَ سَوْسَن أو فى الَحَّمامِ.
بَحَثا عَنْهُ.
لم يَجداهُ عند سَوْسن ولا فى الحَمَّامِ.
جَلَسَ أبو أحْمد علَى كُرْسىِّ المائدَةِ وحَطَّ رأْسَهُ بينَ يدَيْه وهَمَسَ:
- لابُدَّ أنه سَمِعَكِ.
- كانَ البابُ مُغْلَقاً علَيْنا.



- الليْلُ ساكِنٌ، كُنْتِ تَقُولينَ سآخُذُ هذا لى، وهَذا لسَوْسن.
قالتْ أمُّ أحْمد:
- يامُصِيبَتى.. الولَدُ فَهِمَ وهَرَبَ.
قالَ زَوْجُها:
- رُبَّما ذَهَبَ إلى أحَدٍ من أقارِبنا، فى الصَّباحِ تَذْهَبينَ لإخْوتِكِ وأذْهَبُ أنا لإخْوتى.

■■■

بَحَثوا لَدَى كُلِّ الأقارِبِ وفى المَدْرَسَة، وسَأَلُوا زُملاءَهُ كَما سَأَلُوا فى أقْسام الشُّرْطَة والمُسْتَشْفَيات، وتَطَوَّعَ الكثيرونَ من الجيرانِ للبَحْثِ فى كُلِّ مكانٍ، ولم يَصِلُوا جَميعاً إلى نَتيجَةٍ إذْ لم يَعْثُروا لَهُ علَى أثَر.

لم تَتَوَقَّف الأمُّ ولا ابْنَتَها عَن البُكاء، شَعَرَ الأبُ أنَّ وَلَدَهُ وَجَّهَ إليه ضَرْبَةً قويَّةً، بَلْ ضَرْبَتَيْن، ضَرْبَةً باكْتشاف أنَّهُ لِصٌّ، وهَذا يَعْنى أنَّه فَقَدَ كَرامَتَهُ فى عَيْنَىْ وَلَده، وضَرْبةً أُخْرَى لأنَّهُ تَرَكَهُ، لَن يَتَحَمَّلَ أنْ يُحْرَمَ من ابْنه، ولَن يَجِدَ للدنْيا طَعْماً بدُونه.

قَرَّرَ أن يُغْلِقَ الدكَّانَ تَماماً، ولا يَتَوَقَّفَ عَن البَحْث عنه، مَهْما طالَ الزمَنُ لَن يَتْرُكَ شَخْصاً إلا ويَسْألَهُ، ولا شارعاً إلا ويَمْشى فيه، يَفْحَصُ أهْلَهُ وَجْهاً وَجْهاً.

بَدَأَ بالحَىِّ الذى يُقيمُ فيه، كان يَنْزِلُ إلى الشَّارع عنْدما تَشْتَدُّ الحَرَكَةُ مع الضُّحَى، يَنْظُرُ إلى كُلِّ الوجُوه، يَدْخُل المَقاهِىَ والمَطاعِمَ والمَساجِدَ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إلى الشارع التالى، رِحْلَةُ بَحْث يَوْمِيَّة لا تَتَوَقَّفُ إلا مَعَ المَساء، يعودُ بَعْدَها وهو يَجُرُّ قَدَمَيْه مِن التعَب، بينما الأمُّ وسَوْسن فى النافذة، يَنْتَظرانِهِ فى لَهْفَةٍ، ويَدْعُوانِ اللَّه أن يَعْثُرَ على أحْمد، كان الأمَلُ لا يزالُ فى القُلُوب رَغْمَ مرور أسْبُوعَيْن.

■■■

– إنَّهُ هو.. شَكْلُهُ.. نَعَمْ.. هُو، دَقَّ قَلْبُ الأب عنْدَما وَقَعَتْ عَيْنُهُ علَى صَبىٍّ فى مِثْلِ سَنِّ ولَدِه خارِجاً من إحْدَى وِرَشِ المِيكانيكا.

نَظَرَ إليْه طَويلاً، كانَتْ مَلابسُ الولَدِ مُهَلْهَلَةً، مُلَوَّثَةً بالشَّحْمِ والزَّيْتِ والغُبارِ،

وكذلكَ كانَ وَجْهُهُ.

انْحَنَى الولدُ تَحْتَ السيَّارَة أمامَ الوَرْشَة واخْتَفَى عَن عَيْنَى الأب، ثُمَّ ظَهَرَ مِنْ جديد مُتَّجهاً إلى داخل الوَرْشَة، هَمَسَ الأبُ: هُو.. هَذه مِشْيَتُهُ، لكنَّهُ أقلُّ كثيراً مِنْ ذِى قَبْل.

أسْرَعَ إلى الوَرْشَة، كانَ الولدُ خَارجاً منْهَا وبيَده عِدَّةُ مَفاتيح، تلاقَتِ العُيونُ، سالَتْ دُموعُ الأبُ، لمَّا رأى أحْمَدُ أباهُ، تَطَلَّعَ إليْه لحَظات، ثُمَّ ألقَى بنَفْسه بَيْنَ أحْضانِهِ وسالَتْ دُموعُهُ، لكنَّ يَدَهُ الصَّغيرَةَ وأصابعَهُ النَّحيلَةَ ظَلَّتْ قابِضَةً على المَفاتيحِ، بينما الأبُ يَهْمسُ: أحْمَدُكَ يارَبِّ .. أحْمَدُكَ يارب.

مِنْ تَحْت السيَّارة شاهَدَ الأُسْطَى مَنْظَرَ الأبِ وابْنِهِ، تَنَبَّهَ أحْمَدُ فانْتَزَعَ نَفْسَهُ مِنْ حِضْن أبيه، أسْرَعَ يُقَدِّمُ المَفاتيحَ للأُسْطَى..

خَرَجَ الأُسْطَى وسَلَّمَ علَى والدِ أحْمد، أدْخَلَ يَدَهُ فى جَيْبِهِ وأخْرَجَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ، قدمها إلى أحمد وهو يقول:

– هذا أجْرُكَ يا أحْمد.. اذْهَبْ معَ أبيكَ..

بَعْد أنْ ابْتَعَدا قَليلاً عن الوَرْشَة، قالَ أحْمَدُ لأبيهِ:

– لنْ أعودَ مَعَكَ يا أبى.. سامِحْنى.

فُوجِئَ الوالدُ بما سَمِعَ.. سألَهُ عن السَّبَبِ.

طَلَبَ منْهُ أحْمَدُ أنْ يُعيدَ الذَهَبَ أوَّلاً لأصْحَابه، وافقَ الأبُ، طَلَبَ أحْمَدُ أنْ يُرافِقَهُ عِنْدَ إعادَتِهِ ويَرَى ذلكَ بنَفْسه، وافقَ الأبُ.



سـارَا نـحْوَ البَيْت، كـانَ الأبُ مُتأثراً، يَشْعُرُ بالحُزْنِ والحَرَج مِنْ وَلَدِه.

صَـرَخَـت الأمُّ فَـرَحـاً، سَـالَـتْ دُموعُـهَـا، وظَلَّـتْ قـابضَـةً علَـى وَلَدهـا بَيْـنَ أحْـضَـانِـهَـا لا تُـريـدُ أنْ تُفارِقَهُ.

قـالَ الأبُ لأحْـمَـدَ: فـى الصَّباح نَذْهَبُ كَىْ ...

قاطَعَهُ أحْمَدَ قـائلاً: الآنَ ياوالدى.. لَوْ سَمَحْتَ.

جَمَعَ الأبُ والأمُّ كُلَّ الذهَبِ، وَوَضَعاهُ فى حَقيبةٍ، ومَضَيَا إلى المَحلِّ الذى كَانَ الرَّجُلُ قد سَرَقَهُ.

ما إنْ رأَى الجَواهِرْجىُّ الحَقِيبةَ المَفْتُوحَةَ أمامَهُ حَتَّى صَاحَ:

– ذَهَبى.. ذَهَبى عادَ.. ذَهَبى عادَ.

أسْرَعَ يُعانقُ أبا أحْمد الذى قَصَّ عَلَيْه القصَّةَ بالضَّبْط كما جَرَتْ أحْداثُهَا، تَحَوَّلَ

الجَواهِرْجىُّ إلى أحْمد قائلاً: لَهُ: بارِكَ اللَّه فيكَ وَوفَّقكَ. إنكَ ثَرْوَةٌ لأبيكَ، ثُمَّ تَوجَّهَ لِخِزانَتِهِ.. فَتَحَها وأخْرَجَ منها رزْمَةً من الجُنَيْهات، قدَّمَها إلى أحْمد قائلاً:

– ألْف جُنَيْهٍ.. مُكافأةً لكَ.

رَفَضَ أحْمَدُ بقوَّةٍ، ولكنَّ الرَّجُلَ أصَرَّ وقالَ لَهُ:

– هذا حَقُّكَ.. لا تَرُدها..

فى الطَّريق طَلَبَ أحْمَدُ مِنْ أبيه أن يَتَبَرَّعَ بالمَبْلَغ كُلِّه لإحْدَى المؤسَّسات الخَيْرِيَّة التى تَرْعَى الأيْتامَ.



وفى الصَّباح كانَ يَحْملُ حَقيبتَهُ عائداً إلى المَدْرَسَة، وهُو يَشْعُرُ بالرِّضا والسَّعادَة، واثقاً أنَّ الأوْلادَ لَنْ يقُولوا إنَّهُ ابن لِصٍّ.. وقَرَّرَ أنْ يَذْهَبَ إلى وَرْشَةٍ لإصْلاحِ السيَّارات عنْدَما يَنْتَهى بمَشيئَةِ اللَّهِ العامُ الدِّراسىُّ.

العُصْفورُ أَنْقَذَنى

فى يَوْم منَ الأيَّام، خَرَجْنَا مِنْ فُصولنا الدِّراسِيَّة إلى الفِناءِ الكَبير للرَّاحَةِ بيْنَ الحصَص، جَرَيْتُ ولَعِبْتُ مع زُملائى، إلى أنْ شَعَرْتُ بالجُوع، فأخْرَجْتُ مِنْ حقِيبتِى طَعامِى، وجلَسْتُ فى الظلِّ لأتَنَاوَلَهُ.. جاءَ أيْمَنُ ابْنُ العُمْدَةِ، وقالَ:

– هاتِ هَذا الطَّعامَ لآكُلَهُ، فَأنا جَوْعانُ.

سَأَلْتُهُ:

– وأيْنَ طَعامُكَ؟

– قالَ: أكلْتُهُ ولم يكْفِنِى.

قُلْتُ: ولَكِنَّنِى جَوْعَانُ وهَذا طَعامِى.

قالَ: إذاً لم تُسَلِّمَنى الطعامَ، طَلَبْتُ مِنْ أبى أنْ يَطْرُدَ أباكَ، وأنْتَ تَعْلَمُ أنَّ أباكَ يَعْمَلُ عِنْدَ أبى.

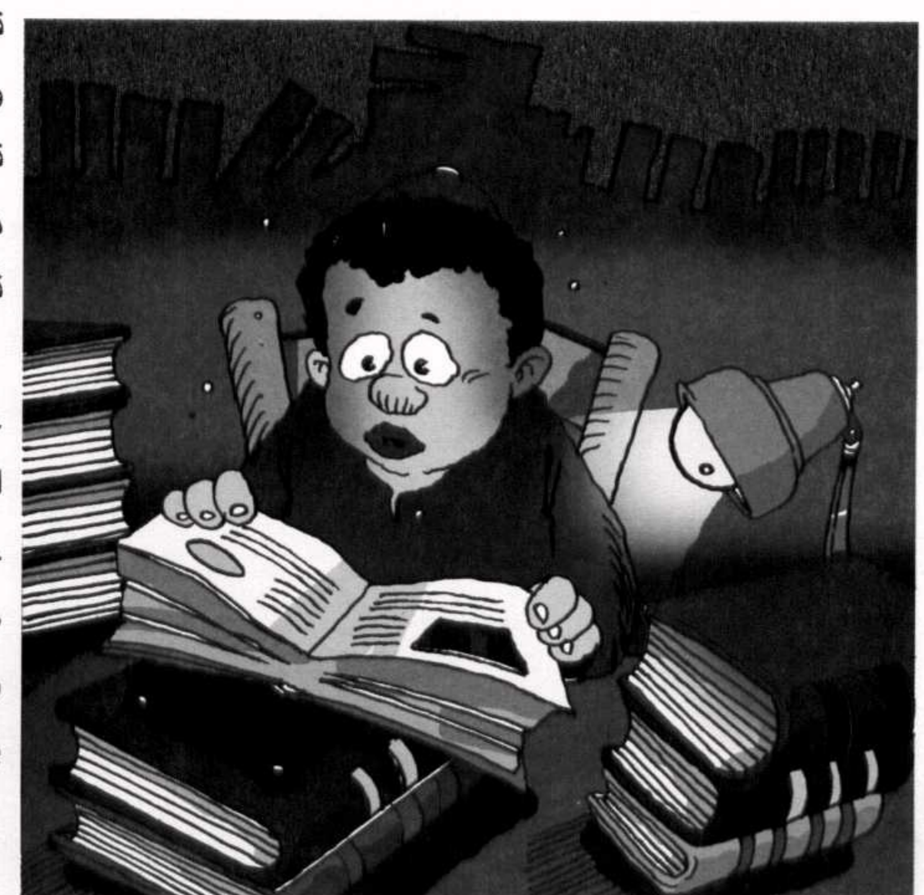
فَكَّرْتُ قَليلاً، ثُمَّ مَدَدْتُ يَدى بالطَّعام إلَيْهِ فَأَخَذَهُ



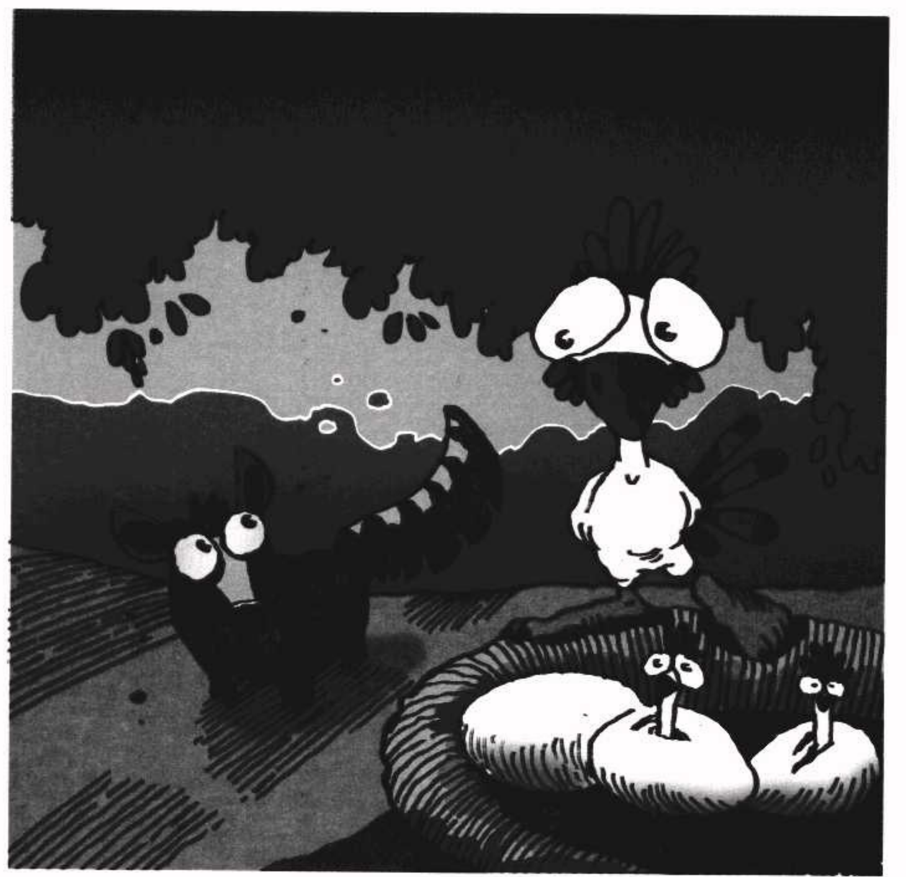
وجَرَى، وبَقِيتُ جَوْعـــانَ إلَى أنْ عُدْتُ إلى بَيْتِنا فى نِهايَةِ اليَوْمِ، ولَمْ أقُلْ شَيْئاً لأهْلِى.

فى اليَوْمِ التَّالى وأثْناء الفُسْحَة، حاوَلْتُ أنْ أتَناوَلَ طَعامِى بَعيداً عَنْ عُيُونِهِ، لكِنَّهُ بَحَثَ عَنِّى حَتَّى وَجَدَنى، وأَخَذَهُ وهُو يَتَهَدَّدُنى بطَرْد أبى. فى يَوْمٍ ثالِثٍ، أَخَذَ ما مَعى مِنْ نقود، وفى يَوْم رابعٍ أَخَذَ قَلَمِى، وفى الخَامِسِ مَسْطَرَتى، وعَجَزْتُ أنْ أَفْعَلَ لَهُ شَيْئاً، كَما عَجَزْتُ أنْ أهْرُبَ مِنْهُ، فَفِى أىِّ مكانٍ أذْهَبُ إلَيْه كان يَأْتِينى.

فى أحَدِ الأيَّام فَكَّرتُ أنْ أقْضِىَ الفُسْحَةَ فى المَكْتَبَةِ.. قَلَّبْتُ الكُتُبَ حَتَّى عَثَرْتُ على قِصَّة بعُنْوان «العُصْفُور والثَّعْلَب»، كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ قِصَصاً كَثيرَةً مِنْ قَبْلُ، لكنَّ هذه القِصَّةَ، لا أتَذَكَّرُ أنِّى قَرَأْتُهَا.



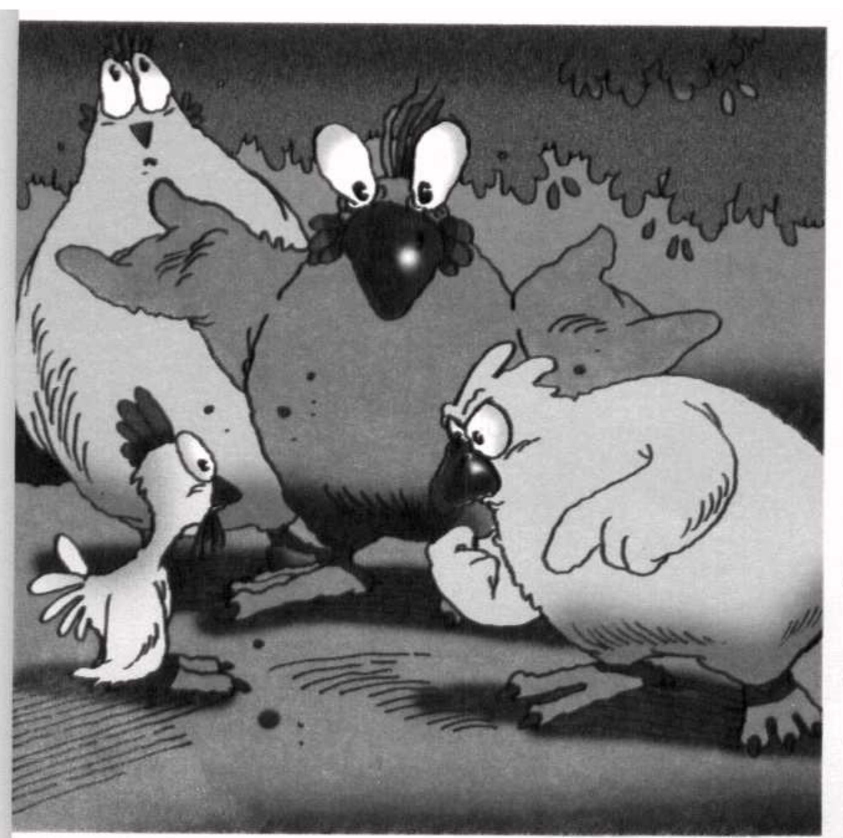
تَقُولُ القِصَّةُ: كانَ هُنَاكَ عُصْفُورٌ يَعِيشُ فَوْقَ إحْدَى الأشْجَار، وكانَ لَهُ عُشٌّ جَميلٌ ودافِئٌ، تَعِيشُ فِيهِ صِغارُهُ، والجَمِيعُ سُعَداءُ، وذاتَ يَوْم أتَى ثَعْلَبٌ وأخَذَ يَصيحُ:



- هَـذِهِ الصُّـخُـورُ كُـلُّـهَـا صُخُورى
وهَذا الحَقْلُ كُلُّهُ حَقْلِى
وهَـذه الأرْضُ كُـلُّـهـا أرْضِى
فِى أرْضِى
نَمَتْ شَجَرَتى
وعلَى شَجَرَتى
بَنَيْتَ عُشَّكَ
فَأعْطِنى حقِّى
واحِداً مِنْ صِغارِكَ
وإلاَّ قَطَعْتُ الشَّجَرَةَ
وأهْلَكْتُ صِغارَكَ كُلَّهُمْ.

خافَ الطَّائرُ مِنَ الثَّعْلَب، فأعْطاهُ أصْغَرَ أبْنائِهِ كَىْ يُنْقِذَ شَجَرَتَهُ وعُشَّهُ وبَقِيَّةَ صِغَارِهِ، وراحَ يَبْكِى.

جاءَ الثَّعْلَبُ فى اليَوْم التَّالى، وأخَذَ يَصِيحُ مِنْ جَديدٍ نَفْسَ الصِّياح، ويُرَدِّدُ نَفْسَ الكَلام، خافَ العُصْفورُ مِنَ الثَّعْلَب فأعْطاهُ واحِداً مِنْ عِيالِهِ وجلَسَ يبْكِى بِشِدَّةٍ، لأنَّهُ كانَ يَعْرِفُ أنَّ الثَّعْلَب سَوْفَ يأْتِى فى الغَدِ ليَطْلُبَ صَغيرًا آخَرَ، والعُصْفُورُ لا يَدْرِى ماذا يَفْعَلُ مع الثَّعْلَب، الذى يُهَدِّدُهُ، ويقُولُ إنَّهُ سَيَقْطَعُ الشَّجَرَةَ، ولَوْ قَطَعَ الشَّجَرَة



فَسَيَسْقُطُ العُشُّ وتَموتُ الصِّغارُ، ويأْكُلُهَا الثَّعْلَبُ.

كَيْفَ يَتْرُكُ العُصْفُورُ ذَلكَ الثَّعْلَبَ يَفْعَلُ بِهِ ما يَفْعَلُ؟

وكَيْفَ سَيَعيشُ بَعْدَ ذَلكَ دُونَ عُشٍّ ودُونَ أَوْلادِهِ؟

عَرَفَتِ الطُّيُورُ ما جَرَى للعُصْفُور، وأَنَّهُ لا يَفْعَلُ شَيْئاً إلاَّ أَنْ يَبْكِي، بَيْنَما الثَّعْلَبُ كُلَّ يَوْم، يَأْتِي ويَأْخُذُ عُصْفُوراً صَغيراً..

عِنْدَئِذٍ قالَت الطُّيورُ:

– أيُّهَا العُصْفورُ، لَقَدْ خَدَعَكَ الثَّعْلَبُ المَكَّارُ.

قالَ العُصْفُورُ: قالَ إنَّهُ سَيَقْطَعُ الشَّجَرَةَ.

سَأَلَتْهُ الطُيُورُ: بِماذا سَيَقْطَعُ الشَّجَرَةَ؟

قالَ العُصْفُورُ وهُوَ حَيْرانُ: لا أَعْرِفُ.

قالت الطُّيور: لَيْسَ لَدَيْهِ غَيْرُ رأْسٍ وذَنَبٍ، فَهَلْ سَيَقْطَعُ بِهِما الشَّجَرَةَ؟

قالَ العُصْفُورُ: لا.

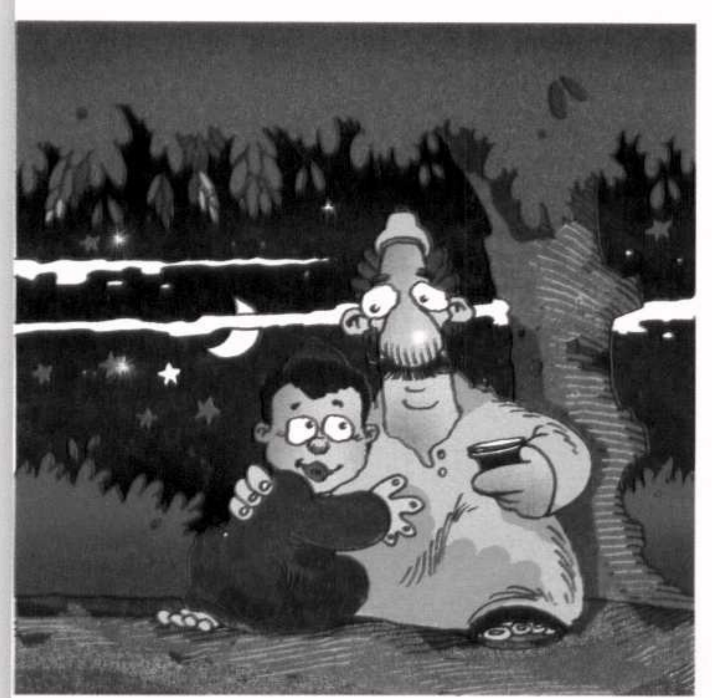
سأَلَتْهُ الطُّيُورُ: كَيْفَ إذَنْ سَيَصِلُ إلَى صِغارِكَ؟

قالَ العُصْفُورُ: لا أعْرِفُ.
قالَتِ الطُّيُورُ: لَيْسَ لَدَى الثَّعْلَبِ فَأْسٌ أو مِنْشارٌ.
قال العُصْفُورُ: هَذا صَحِيحٌ.
عِنْدَئِذٍ قالتِ الطُّيُورُ: إذَنْ لا تَهْتَمّ، هَيَّا انْطَلِقْ وتَوَقَّفْ عَنِ البُكاءِ.
عادَ الثَّعْلَبُ فى اليَوْم التَّالى، وصاحَ عالياً كَما صاحَ مِنْ قَبْلُ.
وانْتَظَرَ أنْ يُلْقِى العُصْفُورُ بواحِدٍ مَنْ صِغارِهِ، لَكِنَّ انْتِظارَهُ طالَ، فَصاحَ مَرَّةً ثانِيَةً، دُونَ نَتيجَةٍ، صاحَ بقُوَّةٍ للمَرَّةِ الثالثَةِ، ولا فائِدَةَ.



أدْهَشَهُ أنَّ العُصْفُورَ أخَذَ يَطِيرُ بكُلِّ ثِقَةٍ فَوْقَ رَأْسِهِ هُنَا وهُنَاكَ، كَأنَّهُ يَرْقُصُ، عادَ الثَّعْلَبُ يَصِيحُ، وهُوَ مُتَعَجِّبٌ مِنْ حالِ العُصْفُورِ، وأدْهَشَهُ أكْثَرَ أنَّ الطَّائِرَ الفَرْحانَ كانَ يُغَنِّى قَائلاً:

هَذه الشَّجَرَةُ.. جُذُورُهَا فى الأرْض
لَنْ تَسْتَطيعَ أبداً أنْ تُسْقِطَهَا
هَذه الشَّجَرَةُ مَتِينَةُ الجِذْعِ
فَهاتِ فَأْساً واقْطَعْهَا



عُشِّى هُنَاكَ فَوْقَ أَغْصَانِهَا العَالِيَةِ
فَهَاتِ سُلَّمًا واصْعَدْ عَلَيْه
كَىْ تَصِلَ إلى أَوْلادِى
هَيَّا خُذْهُمْ.. هَيَّا خُذْهُمْ.

دارَ الثَّعْلَبُ حَوْلَ الشَّجَرَة، حَائِرًا وغَاضِبًا، ثُمَّ قفزَ عَالِيًا، ضَحِكَ العُصْفُورُ وطارَ، اضْطرَّ الثَّعْلَبُ أنْ يَبْتَعِدَ وهُوَ يَحْنِى رَأْسَهُ.

خَرَجْتُ مِنَ المَكْتَبَةِ عَلَى الفَوْرِ، وبَحَثْتُ عَنْ أَيْمَنَ ابْنِ العُمْدَةِ، حَتَّى وَجَدْتُهُ، فَرِحَ عِنْدَما رآنى، وقَالَ لِى: هَلْ مَعَكَ طَعامٌ؟

قُلْتُ لَهُ: مَعِى ولَنْ أُعْطِيكَ.

قَالَ: سَأَطْلُبُ مِنْ أَبى أَنْ يَطْرُدَ أَبَاكَ.

قُلْتُ لَهُ: افْعَلْ ما تَشاءُ.

وفى المَسَاء، سَأَلْتُ أبى: هَلْ يَسْتَطِيعُ العُمْدَةُ أَنْ يَطْرُدَكَ مِنْ عَمَلِكَ؟

قَالَ أبى: ولِمَاذا يَطْرُدُنى، إنَّهُ لا يَسْتَغْنِى عَنِّى ما دُمْتُ أُتْقِنُ عَمَلِى وأُؤَدِّيهِ بإخْلاص.

عِنْدَئِذٍ شَعَرْتُ بالرَّاحَةِ، لأَنِّى تَخَلَّصْتُ مِنَ الكابُوس، وتَذَكَّرْتُ صاحِبَ الفَضْلِ عَلَىَّ الذى حَلَّ لى المُشْكِلَةَ، إنَّهُ عُصْفُورُ القِصَّةِ الجَمِيلَةِ، الذى كانَ مُخْتَبِئاً عَنِّى فى صَفَحاتِ الكِتاب.

أنا سَعِيدٌ بِهَذا الاكْتِشَافِ؛ لأَنِّى كُنْتُ أَحْسَبُ الكِتابَ للتَّسْلِيَةِ وقَضَاءِ وَقْتِ الفراغِ فَقَطْ.

الْجَدْيُ والسَّاحِرَةُ



كَانَ يَعيشُ فى سَالِفِ العَصْرِ والأوانِ، رَجُلٌ عَجُوزٌ وزَوْجَتُهُ، وكانَتْ لهُمَا ابْنَةٌ كَبيرةٌ تُدْعَى نُورا ووَلَدٌ صَغيرٌ اسْمُهُ سامي.

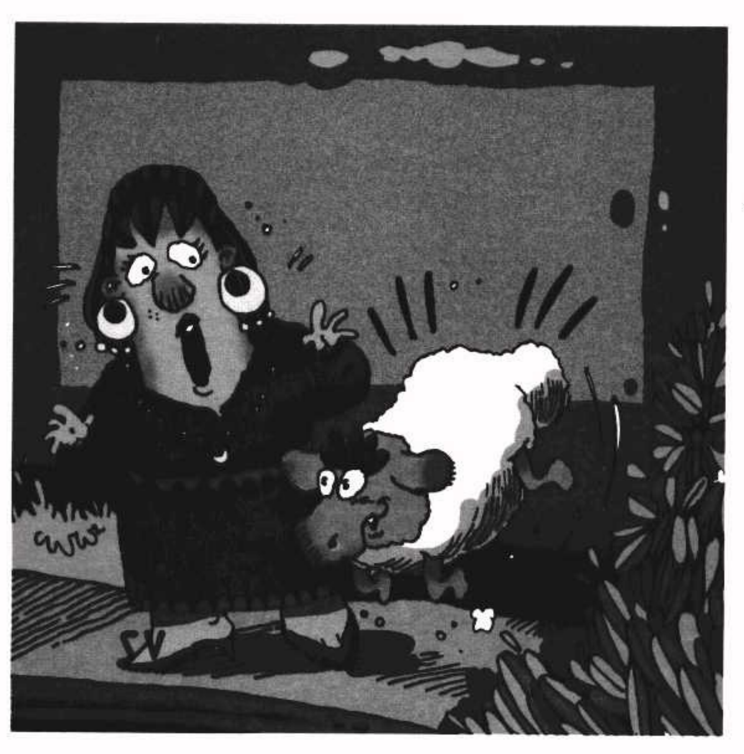
وفَجْأةً تُوفِّىَ العَجُوزانِ وتَركا نُورا وسامى وَحِيدَيْنِ..

خَرَجَتْ نُورا لتَبْحَث عَنْ عمل ومعها أخوها.. وسارا طَويلاً تَحْتَ أشِعَّةِ الشَّمْسِ حَتَّى شَعَرَ سَامى بالعَطَشِ، فَقالَ لأخْتِهِ:

– أُريدُ أنْ أشْرَبَ.

قالَتْ لَهُ نُورا:

– اصْبِرْ قَليلاً حَتَّى نَجِدَ عَيْنَ ماءٍ.



اسْتَمَرَّا فى سَيْرِهِما، وأشِعَّةُ الشمْسِ يَزيدُ لَهِيبُهَا، ويَشْعُرُ سامى بحاجَتِهِ إلى الماء، لَكِنَّهُ صَبَرَ كَمَا طَلَبَتْ إلَيْهِ أُخْتُهُ، إلى أنْ شاهَدَ حُفْرَةً صَغيرةً بِها ماءٌ، كانَتْ مَوْضِعاً لحافِرِ بَقَرَةٍ فقالَ، سامى:

– دَعِينى أشْرَبْ يا أخْتِى.

قالَتْ لَهُ نورا:

– لَوْ كُنْتُ مكانَكَ لَمَا فَعَلْتُ.



فَسَألَهَا:

– لمَاذا لا أَفْعَلُ؟ أنا عَطْشانُ.

قالَتْ لَهُ:

– لَوْ فَعَلْتَ فَسَوْفَ تَنْقَلِبُ عِجْلاً.

أطَاعَهَا سامى، وواصَلا سَيْرَهُمَا تَحْتَ حرارَةِ الشمْسِ الشديدَة، حَتَّى أبْصَرا حُفْرَةً صَغيرةً عَلَى شَكْلِ حافِرِ حِصانٍ مَمْلُوءَةً بالماءِ.

قالَ سامى:

– دَعِينى أيَّتُهَا الأخْتُ أشْرَبْ مِنْ هَذا الماءِ.

قالتْ له:

– لَوْ كُنْتُ مكانَكَ مَا فَعَلْتُ، لأنِّى لَوْ فعَلْتُ فَسَوْفَ أُصْبِح مُهْرًا.

تَنَهَّدَ سامى وأطاعَ أخْتَهُ وسَار إلَى جوارِها صَابرًا، والشمْسُ تَحْرِقُهُ، وحلْقُهُ جافٌّ وأَوْشَكَ أنْ يَقَعَ بسَبَبِ التَّعَبِ والظَّمأ، وكانَتْ أخْتُهُ مثْلَهُ تُعَانى من الإجْهاد، لكنَّها تَصْبِرُ علَى أمَلِ أنْ يَصِلا إلى قَرْيَةٍ يَجدانِ فيها الطعامَ والشرابَ. وفى أثْناءِ سَيْرِهِما صَادفا حُفْرَةً امْتَلأتْ بالماءِ، وكأنَ حافرُ عَنْزَةٍ قَدْ حَفَرَهَا.

قالَ سامى لأخْتِه:

– هذا هُوَ الماءُ ياأخْتى، وأنا لا أسْتَطِيعُ السَّيْرَ بدُون الماءِ.

قالتْ نُورا:

- لَوْ كُنْتُ مكانكَ ما فعَلْتُ، لأنِّى لَوْ فعَلْتُ لانْقَلَبْتَ عَنْزَةً أو جَدْيًا.

لكنَّ سامى لم يَسْتَطِعْ أنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ، ولذلكَ قالَ لأخْته:

- سامحينى ياأخْتى، أنا عَطْشانُ، وسَوْفَ أشْرَبُ، ثم انْحَنَى عَلَى الماءِ، وأخَذَ يَشْرَبُ حَتَّى ارْتَوَى تَمامًا واكْتَفَى، وما هىَ إلا لَحَظاتٍ حَتَّى اخْتَفَى.

نادَتْهُ أخْتُهُ، فَلَمْ تَرَهُ ولَمْ يَرُدّ علَيْها، لكنَّها وَجَدَتْ بدَلاً منْهُ جَدْيًا أبْيَضَ صَغيرًا يَقْفِزُ حَوْلَها.

عِنْدَئذٍ سَقَطَتْ دُموعُ نورا وهى تَرَى أخاها قَدْ أصْبَحَ جَدْياً، وها هُو يأْكُلُ العُشْبَ الذى نَما على جانِبِ الطَّريق.

وفى هَذه اللحْظَة مَرَّ بهما شابٌّ يَرْكَبُ حصَانَهُ، فَتَوَقَّفَ وسَألَها:

- لماذا تبْكينَ أيَّتُها الفتَاةُ الجميلَةُ؟



قَصَّتْ علَيْه نُورا ما جَرَى لَها.. أمَّا ما حَدَثَ لأخِيها فَلَمْ تَذْكُرْ منْهُ شَيْئاً.

أحَسَّ الشابُّ بالعَطْفِ علَيْها، وبَعْدَ لَحْظَةٍ قالَ لَها:

- إنَّنِى تاجِرٌ غنىٌّ، فَهَلْ تَقْبلينَ أنْ أكونَ لكِ زَوْجًا وأُعَوِّضَكِ عَنْ أيَّامِ الفَقْرِ والحِرْمانِ بحَياةٍ سَعيدَةٍ تَلْبَسِينَ فيها ثِياباً من الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وتأْكُلِين أطْيَبَ وألَذَّ ما خَلَقَ اللهُ.

فَكَّرَتْ نُورا قَليلاً فيما قالَهُ الشابُّ، وقَرَّرتْ أنْ تُوافِقَ، وعاشَ الزَّوْجانِ في سَعادةٍ وهَناءٍ. وأقامَ معَهُما الجَدْيُ الصَّغيرُ، يأكُلُ ويَشْرَبُ من الطَّبَقِ الذى تأكُلُ منْهُ أخْتُهُ وتَشْرَبُ، وأحبَّهُ زَوْجُها كَما أحَبَّتْهُ نورا.

فى يَوْم منَ الأيَّام ظَهرَتْ ساحِرَةٌ خَبيثَةٌ أمامَ بيْتِ نُورا، وكانَ زَوْجُها التاجرُ غائِباً فى سَفَر.

قالتِ السَّاحِرَةُ لنُورا:

– إنَّك جَميلَةٌ، لكنَّكِ فى حاجَةٍ إلى الاسْتِحْمام فى النَّهْرِ لتكُونى أجْمَلَ ألْفَ مَرَّةٍ.

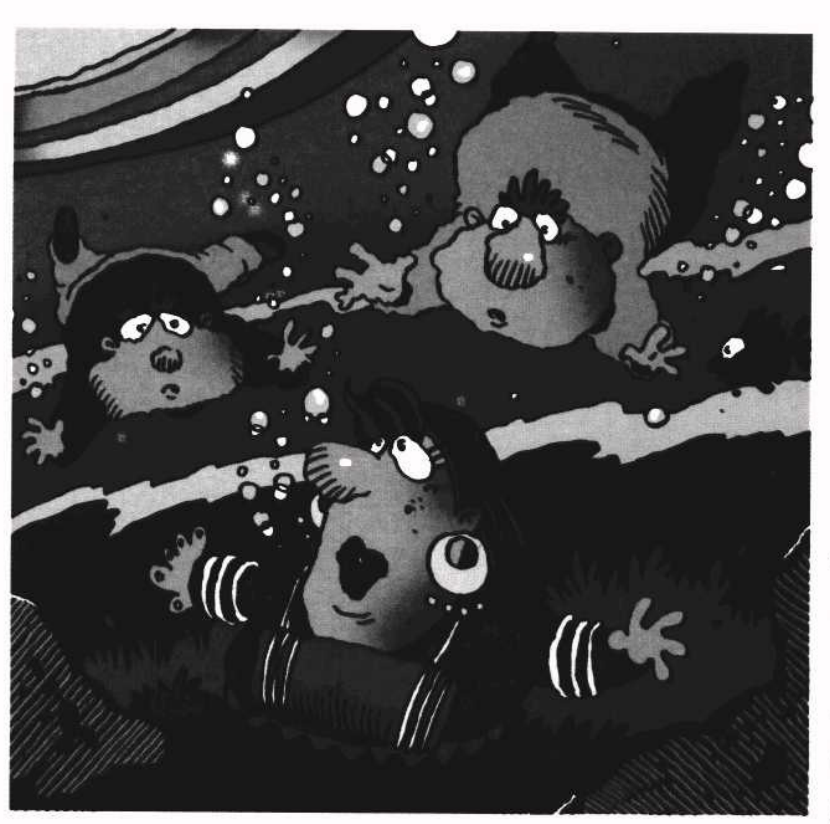
أطاعَتْها نُورا وذَهبَتْ إلى النَّهْرِ، وتَبعَتْهَا السَّاحِرَةُ وهَجَمَتْ علَيْهَا منَ الخَلْفِ وربَطَتْ حَجَراً ثَقيلاً حَوْلَ رَقبَتِها ودَفَعَتْها إلى الماءِ.



عادَت الساحِرَةُ إلى بَيْت نورا، وقد تَحَوَّلَتْ إلى شَكْلِها ولبسَتْ ثِيابَها، ولم يَعْرفْ زَوْجُها أنَّها تغَيَّرَتْ، لكنَّ الجَدْيَ عَرَفَ وأصابَهُ حُزْنٌ شَديدٌ، وكانَ فى كُلِّ صَباح وكُلِّ مساءٍ يَذْهَبُ إلى النَّهْرِ ويُنادِى أُخْتَهُ:

– نُورا.. ياأُخْتِى العَزيزَةَ، اخْرُجى إلىَّ، أرجُوكِ.. أنا فى حاجَةٍ إلى حَنانِكِ.

فى إحْدَى المرَّات تَبِعَتْهُ السَّاحِرَةُ وعَرَفَتْ حكايَتَهُ، فَطلَبَتْ مِنَ الزَّوْج الشابِّ أنْ يَذْبَحهُ، لكنَّهُ كانَ يَرْفُضُ وهو مُتَعَجِّبٌ



من أمْرِها ويقولُ لَها:

- كُنْتُ مُنْذُ عرَفْتُكِ تَقُولِينَ لى إنَّنِى لا أَسْتَغْنِى أبدًا عَن الجَدْىِ ولا أفارِقُهُ، ماذا جَرَى لكِ، وماذا فَعَلَ؟

تتَهرَّبُ السَّاحِرَةُ مِنَ الإجابَة، وتُلحُّ عَلَيْهِ أَنْ يَذْبَحَهُ، وأخيراً وافقَ، ما دامَتْ هذه رَغْبَةَ زوْجَتِهِ.

أمَرَت السَّاحِرَةُ بإشْعالِ النَّارِ كَىْ تَشْوِىَ الجِدْىَ، أَسْرَعَ الجَدْىُ إلى النَّهْرِ يُنادِى أُخْتَهُ:

- اخْرُجى إلىّ ياأُخْتِى الغاليةَ.. سَوْفَ يَذْبَحُونَنِى، لقد أعدُّوا ناراً عَظِيمَةً، سَوْفَ أموتُ، أنا بحاجَةٍ إليكِ.

أجابَتْهُ أُخْتُهُ مِن أعْماقِ النَّهْرِ: لقد ربَطَتِ السَّاحِرَةُ حجَراً حَوْلَ عُنُقِى، وتَجَمَّعَ الرَّمْلُ عَلَى صَدْرِى، والتَفَّت الأعْشابُ حَوْلَ يدَىَّ.

طَلَبَت السَّاحِرَةُ أَنْ يُذْبَحَ الجَدْىُ، فقالَ لها الخَدَمُ.

- لَقد اخْتَفَى.. بَحَثْنا عَنْهُ فى كُلِّ مكَان ولَمْ نَعْثُرْ لَهُ عَلَى أثَر..

قالَتْ على الفَوْرِ لأحَد الخدَم: إنَّهُ هُناكَ عِنْدَ النَّهْرِ.. أحْضِرْهُ بِسُرْعَةٍ.

عِنْدَما وَصَلَ الخادِمُ إلى النَّهْرِ، سَمِعَ الجَدْىَ الأبْيَضَ الصَّغيرَ يقولُ:

- اخْرُجى إلَىَّ ياأُخْتى، سَوْفَ يَنْتَزِعونَ رُوحى من جَسَدى.



وسَمِعَ صَوْتًا يُجيبُهُ من أعْمـاقِ النَّـهْرِ: أخى العَزيزَ.. لقَدْ قيَّدَتْنِى السَّاحِرَةُ، لا أقْدِرُ عَلـى فِعْل شَـىْء. عِـنْدَئِذٍ أسْرَعَ الخادمُ إلى سَيِّدِهِ وأخْبَرَهُ بما سمِعَ فأمرَ الخدَمَ جَميعا بالتَّوجُّهِ إلى النَّهْرِ معَهُ، ونزَلَ بَعْضُهُمْ إلى أعْماقِ المياهِ، وحلُّوا قُيودَ نورا ورَفَعُوا عَنْها الحَجَـرَ، وأزاحُـوا الـرِّمـالَ، وأعـادُوهـا إلى الشَّاطِئ.

فرِحَ الزوجُ، وأخذَ الجَدْىُ يَقْفِزُ عالياً فى الهَواءِ مَسْروراً، وعانَقَ أخْتَهُ، وعانَقَتْهُ.

وارْتَـدُّوا علـى عَجَلٍ إلى السَّاحِرَةِ، كـانَتْ تَجْلِسُ أمامَ النَّارِ تَنْتَظِرُ الجَدْىَ، أمَرَ الزَّوْجَ رجالَهُ أن يَحْمِلُوها إلى النهرِ وأنْ يُلْقوها فيه بَعْدَ أنْ يَرْبُطوها بحَجَرٍ ثقيل، وذَهبَ الكلُّ لمُشاهَدَةِ المَنْظرِ ولمَّا سَقَطت الساحرَةُ فى الماء، صَفَّقَ الجَميعُ فَرَحاً وهَلَّلوا.

سَمعتْ نورا صَوْتَ أخِيها يقولُ: يجبُ أنْ نَحْمَدَ اللهَ ياأخْتى الحَبيبَةَ.

بَحَثَتْ نورا عن الجَدْى الأبْيَضِ الصَّغيرِ الذى تَحدَّثَ إليها، فَلَمْ تَجِدْهُ، ولكنها التقَتْ أخِيراً بأخِيها بَعْدَ أنْ عادتْ إليه صُورَتُهُ الأوْلَى.

قَرَّرَ الزوجُ الطيِّبُ أنْ يُقيمَ الاحْتفالَ بِهذهِ المناسبَةِ ثلاثَةَ أيَّامٍ، وأنْ يتَكَرَّرَ ذلكَ كُلَّ عامٍ.



السلسلة الفائزة بجائزة
سوزان مبارك للنشر ٢٠٠٥

رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٣١٤٧
ترقيم دولى : ٤ -٩٢٩-٣٠٥-٩٧٧

شركة الأمل للطباعة والنشر